

المذهب البصري سيد المذاهب النحوية واللغوية في العربية دراسة نحوية لغوية

أ.م.د. طالب خميس الوادي
الجامعة العراقية / كلية التربية / قسم اللغة العربية

مستخلص:

قام البحث بدراسة نشأة المدرسة البصرية وأهم رجالها وأعلامها وأهم إنجازاتهم النحوية واللغوية. كما وقف البحث على أهم أسباب نشأة النحو العربي، ومن هو الواضع الحقيقي لعلم النحو، وسبب تسميته بهذا السبب. وأخذ البحث بدراسة أهم ما تنماز به المدرسة البصرية عن المدارس والمذاهب النحوية العربية الأخرى.

وقام البحث أيضاً بدراسة الخلاف النحوي، واللغوي بين المدرستين البصرية والكوفية. وكان الخلاف بينهما في المنهج، والمصطلح، والمسائل. ودرسنا [إشكالية الجملة الفعلية في العربية] كنموذج على الخلاف بينهما في المسائل النحوية. ونظر البحث في أهم المآخذ على المدرسة البصرية، وكيفية معالجتها. الكلمات المفتاحية: المذهب البصري، سيد المذاهب، المذاهب النحوية واللغوية، في العربية، دراسة نحوية لغوية.

The Basri dogma is the Master of the Grammtical schools in Arabic A Grammtical Languag Study

Dr Talib Khamees AL Wadi
Assistant Professor

Introduction

Thanks for Allah as moch as good The one who protects us From evtis. our Lord Proy upon Muhommod and his Fomly Forever .

when grommos of Arbic is mentioned. the other grommatial schools are metioned too. The schools are of Bsrarh is metioned as the school of kofa is metioned adfition to AL -Baghdad , AL- Shami, AL-Masri is metioned and the AL-Andulisi. The difference between AL-Basrah and ALKofa schools is also mentioned This is a fact amony all those who study Arabic grommar. The school of Basrah deserved to tought to our students

And yeseachers. It is a foct that the kofis grammarions have been students for Basri grammarions. It troue that Al-Basrah has estoplished linguistics be canse it was the city of science and the place where the scieetists meet and where the religious dogmas cooperate So the ideological movement PPde-velop like the new religious movement as Al-Muatazila and Al-Khawarig and other trends which began to divide the basic Islamic program . At that time , Al-kofa school was taking care of Al-Quraan , origin of Islam and speech .later on , Al-Kofa school began to follow the Basri grammarians . Al -Basra school was recognized by the study and research of the science in Basrah in polcy and economics, idealogy and religion .

المقدمة:

وعلوم العقيدة، والفقه، والحديث لكن أخذت النحو عن البصرة متأخرًا بعد أن استووا واکتمل خلقه على يد البصريين بزمان طويل.

وقد تضمن البحث مبحثين:

أما المبحث الأول: [فضل المدرسة البصرية النحوية على اللغة العربية] فقد تناولت فيه دراسة الموضوعات الآتية:

- البصرة مدينة العلم والعلماء.
- أممها هي أم مدارس؟
- شيوخ المدرسة البصرية وعلمائها.
- أهم الأسباب والدوافع لنشوء علم النحو العربي.
- ما هي أصول النحو العربي وقواعده؟
- جهود علماء البصرة في النحو واللغة.
- أهم ما تنماز به المدرسة البصرية على المدرسة الكوفية وغيرها من المذاهب، والمدارس النحوية، واللغوية الأخرى. وغيرها من الموضوعات.

وفي هذا المبحث وقفت عند رجالات النحو العربي وكانت أهم شخصية وقفت عندها هو سيدنا الإمام علي ابن أبي طالب (كرم الله تعالى وجهه) صاحب العقلية الجبارة في علوم الدين واللغة الذي كان يفكر مليًا في صنع كتاب يحفظ اللغة ويصون اللسان العربي من اللحن. وبعد أن رسم الخطوط العامة للنحو العربي أرشد أبا الأسود الدؤلي إلى إتمام الفكرة بوضع كتاب في النحو العربي. ومن ثم أشار البحث إلى أهم إنجازات أبي الأسود الدؤلي، وجهده اللغوي.

كما فصلنا القول، وعمقنا الدراسة، والبحث في إنجازات علماء المدرسة البصرية، ومشايخها كالحليل، وسيبويه، والمبرد، والأخفش البصري، وابن السرج لما لهؤلاء العلماء من أثر عظيم في إنشاء علم النحو وترسيخ قواعده وتثبيت أصوله، وما حققوه من إنجازات رائعة في علوم اللغة العربية عامة.

الحمد لله حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا يوافي النعم، ويكافئ المزيد، ويدافع عنا النقم. اللهم لك الحمد حتى ترضى، ولك الحمد إذا رضيت، ولك الحمد بعد الرضا، لا نحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك أنت الأول ليس قبلك شيء، وأنت الآخر ليس بعدك شيء. اللهم صل على محمد وآل محمد في الأولين والآخرين صلاة دائمة بدوام ملك الله سبحانه وتعالى.

أما بعد:

عندما يذكر النحو العربي تذكر المذاهب النحوية الأخرى، ويذكر المذهب البصري كما يذكر المذهب الكوفي، والبغدادى، والشامي، والمصري، والأندلسي، ويذكر أيضًا الخلاف النحوي بين المذهبيين البصري والكوفي. وهذه الفكرة والنظرة سائدة عند طلاب العلم والدارسين. وينبغي أن نتقف أجيالنا من طلاب العلم والدارسين والباحثين بمكانة المذهب البصري العلمية في تأصيل علم النحو والدراسات اللغوية، ووضع قواعد هذا العلم، ومصطلحاته، ونظرياته، ورسم منهجه، وترتيب موضوعاته بحسب الأهمية والأولوية والعلاقة والروابط فيما بينها. ويجب أن تعرف هذه لأجيال أن علماء الكوفة كانوا تلامذة عند علماء البصرة. الحق أن البصرة لها سبق في إنشاء علم النحو؛ لأنها مدينة العلم وملتقى العلماء والمذاهب الدينية، وأهل الملل، والنحل، والحركات الفكرية، وبها كانت تنعم به من ازدهار علمي ونهضة فكرية. كل ذلك ساعدها في إنشاء علم النحو الذي كان أداة فعالة في تقويم الجدل الديني الحاصل بسبب ظهور حركات دينية جديدة - منهم المعتزلة والخوارج وغيرهم - تعبت في كيان الدين الإسلامي الحنيف. وفي الوقت ذاته كانت الكوفة تقوم بأعباء جسيمة حيث كانت تعنى بالقرآن الكريم رواية، وضبطًا، وتفسيرًا،

المبحث الأول: [فضل المدرسة البصرية النحوية على اللغة العربية]

البصرة مدينة العلم والعلماء:

قام القائد العربي المسلم الفاتح (عتبة بن غزوان) في سنة [15] هجرية باختيار أرض البصرة؛ لتكون مستقرًا ومنزلًا للجيش العربي بأمر من الخليفة الثاني عمر بن الخطاب (رضي الله عنه)⁽¹⁾. وتم اختيار هذه الأرض دون غيرها لأسباب منها: خصوبة أرضها، ووفرة مياهها، واتصالها بمركز الخلافة في المدينة المنورة من دون أن يفصلها عنها فاصل، وأهمية موقعها على الخليج العربي، واتصالها بالثقافات الأجنبية: الهندية والفارسية واليونانية، ونشاط الحركة العلمية والتجارية فيها؛ لذلك كله أصبحت البصرة مهياة لاستقطاب العلماء والدارسين إليها، وأن تكون أكثر ملائمة لنضج الدراسات الفكرية والعقلية. فتمخض عن هذه الظروف نشوء المدرسة البصرية في علم النحو والدراسات اللغوية على يد العالم العربي أبي الأسود الدؤلي ونخبة من العلماء الأجلاء من أبناء هذه الأمة.

أمزاجها هي أم مدارس؟

إن لكل مصطلح من هذين المصطلحين مفهوم ومعنى لا يختلف عن الآخر كثيرًا؛ لأن للمدرسة أهدافًا ومبادئ ومفاهيم، ومنهجًا، ومصطلحات، ونظريات يعتنقها ويشر بها أصحابها من أساتيد وشيوخ يأخذ عنهم طلابهم وتلاميذهم العلوم الإنسانية والطبيعية. والمدرسة تتسم بطابع الثبات والدوام أكثر من المذهب الذي أيضًا له أهداف ومبادئ ومفاهيم ومنهج، ومصطلحات خاصة به دون سواه ومشايخ لهم تلاميذ يأخذون عنهم، أما المذاهب تتسم بصفة الحركة والتغير

وأما المبحث الثاني: [نظرة فاحصة في الخلاف البصري الكوفي] فقد تكلمنا فيه عن الموضوعات الآتية:
- الخلاف البصري الكوفي في المسائل النحوية، وشملت جوانب عديدة من المنهج البصري في دراسة النحو العربي. وتناول البحث الخلاف البصري الكوفي بجوانبه الثلاثة: المنهج، والمصطلح، والمسائل.

- إشكالية الجملة الفعلية في العربية، وقد قام البحث بدراسة هذه المسألة الخلافية في النحو بين زعيم المدرسة البصرية (سيبويه) وزعيم المدرسة الكوفية (الفراء) كنموذج لهذا الخلاف.

- أهم المآخذ على المدرسة البصرية.

وانتهى البحث بخاتمة تضمنت أهم النتائج والأهداف التي تحققت، وفهرست اشتمل على جميع هوامش البحث، وفهرست آخر بأهم المراجع والمصادر، وملخص البحث باللغة الإنكليزية.

وقد بذلت جهدًا كبيرًا في دراسة مسائل البحث بكل دقة ومهنية وعلمية فإن أصبت، وهذا ما أرجوه فهو بفضل الله تعالى ومنه وكرمه، وإن قصرت في جانب معين من هذا العمل فهو مني. والله تعالى المستعان على فعل الخير وإنجازه وحسبي أني عملت ما يرضي ضمير. والحمد لله سبحانه في الأولى والآخرة وصلى الله تعالى على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن والاه إلى يوم الدين.

(1) ينظر: تاريخ الأدب العربي، لبروكلمان، ترجمة النجار، ط2، مصر، 1968 م: 2/182.

4. وأخذ عن نصر أبو عمرو بن العلاء البصري.
5. وأخذ عن أبي عمرو الخليل بن أحمد.
6. وأخذ عن الخليل سيويه أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر.
7. وأخذ عن سيويه أبو الحسن سعيد بن مسعدة الأخفش الأوسط.
8. وأخذ عن الأخفش أبو عثمان بكر بن محمد المازني الشيباني وأبو عمر الجرمي. وأخذ عنهما أبو العباس محمد بن يزيد المبرّد.
9. وأخذ عن المبرّد أبو إسحق الزجاج وأبو بكر بن السّراج.
10. وأخذ عن ابن السّراج أبو علي الحسن ابن عبد الغفار الفارسي.
11. وأخذ عن الفارسيّ أبو الحسن علي بن عيسى الرّبيعيّ، وعن ابن المباشّر طاهر بن أحمد ابن بابشاذ المصريّ، وعن الزجاج أبو جعفر النّحاس أحمد بن إسماعيل المصريّ.
12. وأخذ عن النّحاس أبو بكر الأدفويّ.
13. وأخذ عن الأدفويّ أبو الحسن علي ابن إبراهيم الحوفيّ.
14. وأخذ عن الحوفيّ طاهر بن أحمد بن بابشاذ النحويّ.
15. وأخذ عن ابن بابشاذ أبو عبد الله محمد بن بركات النحويّ المصريّ، وأخذ عن ابن بركات وعن غيره أبو محمد بن برّيّ، وأخذ عن ابن برّيّ جماعة من علماء أهل مصر، وجماعة من القادمين عليه من المغرب.

هؤلاء هم علماء البصرة الأعلام الذين وضعوا علم النحو العربي آخذين أصوله من سيد البلغاء والمتكلمين - بعد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) - سيدنا الإمام عليّ ابن أبي طالب (عليه السلام). كما ذكر لنا القفطي أن الواضع الحقيقي لعلم النحو هو الإمام

فتجد من مشايخ المذهب وعلماءه يخرج عن مذهبه ويؤسس لمذهب جديد، أو يخالفهم ويوافق أراء مذهب آخر. وهذا الأمر قد يحصل مع المدارس اللغوية، والدينية، والسياسية، والفلسفية، والفنية أيضاً غير أنّه بدرجة أقل.

ووجدت في مؤلفات اللغويين والمؤرخين وبحوثهم ودراساتهم يستعملون المصطلحين -المذهب والمدرسة- في الإشارة إلى الجهة نفسها⁽¹⁾ لكنني وجدت اللغويين والمؤرخين القدامى يستعملون مصطلح (المذهب) والمحدثون يستعملون مصطلح (المدرسة)⁽²⁾.

وأنا لا أجد حرجاً في إطلاق مصطلح (المدرسة) على المذهب البصري أو المذهب الكوفي؛ لأنّي أرى كلّاً منهما يستحق أن نطلق عليه اسم المدرسة. وقد ذكر لنا القفطي⁽³⁾ سنداً عالياً موثقاً به لعلماء النحو، أخذ بعضهم عن بعض، ويُعدّ هذا السند من أشهر الأسانيد صحة -من وجهة نظرنا:

شيوخ المدرسة البصرية وعلماءها:

1. إنّ أوّل من وضع علم النحو سيدنا عليّ بن أبي طالب -كرم الله وجهه.
2. وأخذ عن الإمام عليّ بن أبي طالب -كرم الله وجهه- أبو الأسود الدؤليّ.
3. وأخذ عن أبي الأسود الدؤليّ نصر بن عاصم البصريّ.

(1) ينظر: تاريخ الأدب العربي، لبروكلمان، ترجمة النجار، ط2، مصر، 1968م: 2/182.

(2) ينظر: تاريخ الأدب العربي، لبروكلمان، ترجمة النجار، ط2، مصر، 1968م: 2/182.

(3) إنباه الرواة على أنباه النحاة، المؤلف: جمال الدين أبو الحسن علي بن يوسف القفطي (المتوفى: 646هـ)، الناشر: المكتبة العنصرية، بيروت، الطبعة: الأولى، 1424هـ، عدد الأجزاء: 4: 42-41/1.

ويتكيفون مع المجتمع العربي. وهذا هو الدافع الاجتماعي.

ما هي أصول النحو العربي وقواعده؟

عرّف ابن جنّي (392هـ) النحو: انتحاء كلام العرب في تصرفه من إعراب وغيره كالثنائية والجمع والتحقيق والتكسير والإضافة والنسب والتركيب وغير ذلك؛ ليلحق من ليس من أهل العربية بأهلها في الفصاحة فينطق بها وإن لم يكن من أهلها⁽²⁾. وهناك تعريفات أخرى..

وأما أصول النحو فهي الأدلة الإجمالية، وأدلة النحو المشهورة ثلاثة: السماع، والقياس، والإجماع، ولكل دليل منهن شروطه، ولوازمه، وقواعده.

جهود علماء البصرة في النحو واللغة:

- أهم جهود أبي الأسود الدؤلي:

1- صنع كتاباً مختصراً في النحو بأمر وتوجيه من سيدنا الإمام علي -عليه السلام- ثم انصرف بعد ذلك إلى وضع أبواب الفاعل، والمفعول به، والمضاف، وحروف النصب والجر والجزم، وأبواب العطف والنعت والتعجب والاستفهام⁽³⁾.

2- قام أبو الأسود الدؤلي بنقط المصحف الشريف، أو ما يسمّى بنقط الإعراب وذلك إشارة بالنقط إلى المنصوب، والمرفوع، والمجرور، والمنون من الكلمات⁽⁴⁾.

- ما علة تسمية هذا العلم بالنحو؟

كان أبو الأسود الدؤلي كلما وضع باباً من أبواب النحو عرضه على الإمام علي -عليه السلام- وعندما

عليّ ابن أبي طالب (عليه السلام) لكن ما هي الدوافع والأسباب التي جعلته (عليه السلام) يفكر في إنشاء هذا العلم، ووضع أصوله وقواعده؟ وما هي القواعد والأصول التي سيقوم عليها هذا العلم؟

أهم الأسباب والدوافع لنشوء علم النحو العربي:

1 - تفشي اللحن والخلط في اللغة العربية نطقاً وكتابة.

وهذا كان دافعاً قوياً جعل أمير المؤمنين عليّ ابن أبي طالب -عليه السلام- يفكر في وضع كتاب في أصول العربية فقال له أبو الأسود الدؤلي (رحمه الله): وإن فعلت هذا أبقيت فينا هذه اللغة العربية، ثم أتيت بعد أيام، فألقى إلى صحيفة فيها: بسم الله الرحمن الرحيم. الكلام كله اسم وفعل وحرف... فجمعت أشياء وعرضتها عليه، فكان من ذلك حروف النصب، فذكرت منها: إن، وأن، وليت، ولعل، وكأن. ولم أذكر لكن، فقال: لم تركتها؟ فقلت: لم أحسبها منها. فقال: بلى هي منها، فردها فيها⁽¹⁾ وبذلك رسم سيدنا الإمام عليّ -عليه السلام- قواعد اللغة العربية ويّين سمات النحو، وأسسها من أجل سلامة اللغة وديمومتها، وحفاظاً عليها من الضياع.

2- للمحافظة على كتاب الله تعالى قراءة، وحفظاً، وتفسيراً، وبياناً. وما وُضعت علوم اللغة من نحو وصرف وبلاغة ومعاجم وعلم الصوت وعلم الدلالة والدراسات البيانية إلا خدمة لكتاب الله تعالى. وهذا هو الدافع الديني.

3- للحفاظ على هوية الأمة العربية وهويتها ووحدتها. وهذا هو الدافع القومي.

4- كي يصبح علم النحو ممكناً تعلمه وتدرسه لغير العرب ممن دخلوا الإسلام حديثاً لينسجموا

(2) الخصائص، لأبي الفتح عثمان بن جني (ت 392هـ)، تح: الشربيني شديدة، عضو رابطة الأدب الإسلامي العالمية، دار الحديث، القاهرة، 1428هـ - 2007م: 34/1.

(3) إنباه الرواة: 39/1.

(4) إنباه الرواة: 42-41/1.

(1) المصدر نفسه: 39/1.

فضل البصرة على الخليل بن أحمد :

وُلِدَ الخليل سنة 100 هجرية ونشأ في البصرة، وكانت مهذاً للمشتغلين بالعلم والثقافة، فلقي ثلة من العلماء كأبي عمرو بن العلاء، وعيسى، وأيوب، وعاصم الأحول، واستكثر في الأخذ عنهم. ومكَّنه على التقدم في مضمار الثقافة والعلم والفكر، واستيعاب علوم العصر، فُكِّرَ ثاقب، وذهن وقاد، وفطنة، وذكاء حاد، وفطرة نقية، وطبع سليم، وعقل راجح، حتى أصبح واحداً ممن يشار إليه بالبنان في مجال علوم اللغة العربية كالنحو والصرف والمعجم والعروض، وفي ميادين الإبداع والاختراع والرقى العلمي.

أهم ما قاله العلماء والمفكرون والمؤرخون في الخليل: عُرِفَ هذا العالم الجليل الخليل بالزهد والقناعة، وثبات الدين، والفلسفة، وسعة العلم، والحكمة. وفضله الأصفهاني على علماء اليمن فقال: {فهؤلاء على جلالة أخطارهم، ونفاضة علمهم، لو جمعوا كلهم في صعيد واحد لم يعشروا الخليل، ولا نالوا في العلم أدنى درجاته، وما ظنكم برجل تولاه كل جيل، ومال إليه كل فرقة، حتى خلا في صدورهم؛ فمنحوه الذكر الجميل بألسنتهم} (4). بل فضَّله على علماء البصرة قاطبة (5).

كان الخليل رائد طلبة العلم ومرتابهم، يختلفون إليه، ويغترفون من منهله ومعينه الشر (6).

أشهر تلاميذ الخليل: النضر بن شميل (ت 204 هـ)، والليث بن المظفر، وسيبويه (ت 180 هـ)، وعلي بن نصر الجهمي (ت 187 هـ)، والأخفش سعيد ابن مسعدة أبو حسن البصري النحوي (ت 223 هـ)، وعلي

(4) التنبيه على حدوث التصحيف، لحمزة بن حسن الأصفهاني (ت 365 هـ): ط 1: آل ياسين. النهضة، بغداد: - 194 195.

(5) المصدر نفسه: 192.

(6) ينظر: معجم الأدباء للحموي: 227 / 6.

اكتملت أبوابه التي صنعها ورأى فيه الكفاية فقال: {ما أجمل هذا النحو الذي نحوت، فلذلك سُمِّيَ النحو} (1).

- أهم إنجازات الخليل في مجال علوم اللغة العربية: لقد انتهى علم النحو واللغة والشعر إلى جماعة من أهل البصرة منهم: الخليل بن أحمد الفراهيدي الأزدي (175-100 هـ). كان ذكياً فطناً ذا عقلية رياضية جبارة، وكانت إسهاماته عظيمة في استخراج مسائل النحو وتصحيح القياس فيه وهو أول من حصر أشعار العرب في علم ابتدعه سمَّاه علم العروض فأحصى الشعر في خمسة عشر بحراً وجعل لكل بحر وزن يُوزَنُ بتفعيلات خاصة به، ثم استدرك عليه الأخفش بالبيت السادس عشر ألا وهو البحر المتدارك. وألَّفَ أول معجم سمَّاه كتاب العين المعروف المشهور الذي به يتهيا ضبط اللغة (2). ودرس بحرص شديد العلوم العربية والعلوم المنقولة إليها كالرياضيات والمنطق والفلسفة والموسيقى. وقرأ كل ما ترجمه صديقه ابن المقفع. وأما منهجه في الدراسة والتأليف فيعتمد على السماع - أي الاحتجاج بالقرآن الكريم والحديث الشريف والكلام العربي الموثوق بفصاحته - والقياس والتعليل. ومثلما كان قمة في العلم كان قمة في الزهد والورع (3).

(1) المصدر نفسه.

(2) أخبار النحويين البصريين، المؤلف: الحسن بن عبد الله بن المرزبان السيرافي، أبو سعيد (المتوفى: 368 هـ)، المحقق: طه محمد الزيني، ومحمد عبد المنعم خفاجي - المدرسين بالأزهر الشريف، الناشر: مصطفى البابي الحلبي، الطبعة: 1373 هـ - 1966 م، عدد الأجزاء: 31 / 1.

(3) ينظر: معجم الأدباء = إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، المؤلف: شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي (المتوفى: 626 هـ)، المحقق: إحسان عباس، الناشر: دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة: الأولى، 1414 هـ - 1993 م، عدد الأجزاء: 7 / 183: 4.

وابتدع علومًا لم تعرفها الأمة من قبل، كانت خافية على عصريين من علماء العربية والأدباء والمفكرين إذ اكتشف بحور الشعر العربي، وألف ثلاثة كتب في علم العروض:

1. العروض⁽¹⁰⁾. 2. الفرش⁽¹¹⁾. 3. المثال⁽¹²⁾.

وقد ألف كتابًا من أضخم الكتب في تاريخ العربية ألا وهو [كتاب العين] حيث استطاع فيه أن يجمع ألفاظ العربية ويرتبها وفق نظام جديد لم تألفه العرب من قبل في ترتيب حروف الهجاء العربية ألا وهو النظام الصوتي حيث رتبها بحسب مخارج الأصوات. وهذا النظام لدقته وصعوبته تجد أغلب الكتاب في التأليف المعجمي - قدامى ومحدثين - يتعدون عنه في مناهجهم عند الكتابة والتأليف، ويتحاشون اعتماده كنظام في ترتيب مواد المعجم.

عناية العلماء والباحثين بكتاب العين:

لقد قام الدكتور حسين نصار بدراسة عميقة، وبحثه بحثًا مستفيضًا في كتابه [المعجم العربي]، كما تناوله بالبحث الدكتور عبد الله الجبوري في كتابه [بحوث في المعجمية العربية]، ودرسه الدكتور عبد الله درويش محقق العين، وأيضًا بحثه الدكتور رشيد العبيدي في كتابه [مشكلات في التأليف اللغوي]، وقام ببحثه ودراسته مهدي المخزومي، وأحمد عبد الغفور عطار، وكوكبة أخرى من المؤرخين، والباحثين، وكانت مذاهبهم اللغوية مختلفة كما كانت مذاهب المتقدمين.

العالم المهام البصريّ سيويه ت 180 هـ:

أمّا العالم البصريّ النحويّ اللغويّ (سيويه) فقد ألف كتابًا في النحو، والصرف، والصوت، وهو أول، وأهم كتاب في النحو، والصرف منذ تأليفه وظهوره

(10) معجم الأدباء للحموي: 4/182.

(11) المزهر للسيوطي: 1/41.

(12) المصدر نفسه.

بن حمزة الكسائي (ت 189 هـ)، والأصمعي، عبد الملك بن قريب أبو سعيد (ت 216 هـ)، وغيرهم.

جهوده العلمية: كان الخليل منشغلًا في أمور الأنغام والألحان والموسيقى والرياضيات وساعده انشغاله بهذه الأمور أن يؤلف كتبًا فيها:

1- النغم أو الإيقاع⁽¹⁾.

2- كتاب تراكيب الأصوات⁽²⁾.

3- الموسيقى⁽³⁾.

وكان بارعًا في النحو والصرف فألف فيهما:

1- الجمل⁽⁴⁾.

2- المعنى⁽⁵⁾.

3- التصغير⁽⁶⁾.

4- الشواهد⁽⁷⁾.

5- الحروف⁽⁸⁾.

6- التفاحة.

7- العوامل⁽⁹⁾.

(1) سرح العيون لابن نباته المصري (ت 768 هـ)، ط 1، 1377 هـ / 1957 م - 152.

(2) التنبيه: 187.

(3) المزهر في علوم اللغة وأنواعها، جلال الدين عبد الرحمن السيوطي (ت 911 هـ)، شرح وتصحيح محمد أحمد جاد المولى وجماعته، ط 2، مطبعة عيسى الحلبي، القاهرة، (بلا ت): 1/41.

(4) معجم الأدباء = أرشاد الأريب، لياقوت الحموي: 1/411.

(5) التنبيه: 153.

(6) مراتب النحويين لأبي الطيب (ت 351 هـ) - ط 1، أبو الفضل - مصر: 61.

(7) المزهر للسيوطي: 1/41.

(8) موجود نسخة منه في العراق طبعها الدكتور رمضان عبد التواب في مطبعة عين شمس بالقاهرة (1969 م)، ينظر: مشكلات في التأليف اللغوي، للدكتور رشيد العبيدي، مطبعة دار الجاحظ للطباعة والنشر - بغداد، ط 1، رقم الإيداع في المكتبة الوطنية والوثائق ببغداد، 1400 هـ - 1980 م: 146.

(9) وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، لأبي العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر ابن خلكان البرمكي الإربلي (المتوفى: 681 هـ)، المحقق: إحسان عباس، الناشر: دار صادر - بيروت، ط 7: 2/246.

وفضله علماً عند النحويين فكان يقال بالبصرة: قرأ فلان الكتاب فيعلم أنه كتاب سيبويه وقرأت نصف الكتاب ولا يشك أنه في كتاب سيبويه. وكان محمد بن يزيد المبرد إذا أراد مريد أن يقرأ عليه كتاب سيبويه يقول له: هل ركبت البحر. تعظيماً له، واستصعاباً لما فيه. وكان المازني يقول: من أراد أن يعمل كبيراً في النحو بعد كتاب سيبويه فليستحي. ومات سيبويه بفارس في أيام الرشيد⁽²⁾، وأثنى عليه أبو البركات الأنباري وعلى كتابه قائلاً: {كان أبرعهم في النحو سيبويه، وغلب على النضر بن شميل اللغة، وعلى مؤرج الشعر واللغة، وعلى علي بن نصر الجهضمي الحديث. وقال أبو العباس محمد بن يزيد المبرد: كان سيبويه وحماد بن سلمة أكبر في النحو من النضر بن شميل والأخفش، وكان النضر بن شميل أعلم الأربعة بالحديث.

وقال ابن سلام: كان سيبويه النحوي غاية في الخلق، وكتابه في النحو هو الإمام فيه.

وقال الجاحظ: أردت الخروج إلى محمد بن عبد الملك ففكرت في شيء أهديه إليه، فلم أجد [شيئاً] أشرف من كتاب سيبويه، فقلت له: أردت أن أهدي لك شيئاً، ففكرت فإذا كل شيء عندك، فلم أر شيئاً أشرف من هذا الكتاب [وهذا كتاب اشتريته من ميراث الفراء]، فقال: والله ما أهديت إلي شيئاً أحب لي منه.

وكان يقال بالبصرة «قرأ فلان الكتاب» فيعلم أنه كتاب سيبويه، و«قرأ نصف الكتاب»، فلا يشك أنه كتاب سيبويه⁽³⁾، {وَقَالَ الْجُرْمِي: فِي كِتَابِ سَيْبَوِيهِ أَلْفٌ وَخَمْسُونَ بَيْتاً؛ سَأَلْتُهُ عَنْهَا فَعَرَفَ أَلْفًا، وَلَمْ يَعْرِفْ خَمْسِينَ}⁽⁴⁾.

(2) أخبار النحويين البصريين: 1/40.

(3) نزهة الألباء في طبقات الأدباء لأبي البركات الأنباري، تحقيق

الدكتور إبراهيم السامرائي، بغداد، 1959م: 1/55.

(4) بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، المؤلف: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى:

911هـ)، المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الناشر: المكتبة

حتى يومنا هذا. وكل ما أُلّف بعده من مصنفات في هذين العِلْمَيْنِ عيال عليه. وكان للخليل في تأليفه الأثر العظيم، ومن يقرأ الكتاب يجد ذلك واضحاً.

وهو أبو بشر عمرو بن عثمان الملقب بسيبويه (ت 180 هـ)، وهو فارسي الأصل من مدينة شيراز ثم قدم مدينة البصرة يطلب العلم والمعرفة في الدين واللغة وغيرها من العلوم. وأخذ يتتلمذ على يد العالم الجليل الخليل بن أحمد الفراهيدي في دراسة علم النحو واللغة. كان ملازماً لشيخه مواظباً على حلقات العلم عنده. وكان الخليل يقول له عند مقدمه إلى الدرس: مرحباً بزائر لا يمل؛ لأنه كثير المجالسة له. وبانت عليه محال الذكاء منذ حدثته، قال ابن عائشة: {كنا نجلس مع سيبويه النحوي في المسجد - وكان شاباً جميلاً نظيفاً قد تعلّق من كل علم بسبب، وضرب في كل أدب بسهم، مع حداثة سنه وبراعته في النحو - فبينما نحن عنده ذات يوم إذ هبّت ريح أطارت الورق، فقال لبعض أهل الحلقة: انظر أيّ ريح هذه؟ وكان على منارة، تمثال فرس من صفر، فنظر ثم عاد فقال ما يثبت الفرس على شيء. فقال سيبويه: العرب تقول في مثل هذا: قد تذاءبت الريح وتذاءبت الريح؛ أي فعلت فعل الذئب، وذلك أنه يجيء من هاهنا وهاهنا ليختل، فيتخيل للناظر أنه عدّة ذئاب.

وكتبت من خطّه: حدّثنا بشر بن موسى، حدّثنا ابن النّطّاح قال: كنت عند الخليل بن أحمد فأقبل سيبويه، فقال: مرحباً مرحباً بزائر لا يملّ. فقال أبو عمر المخزومي - وكان كثير المجالسة للخليل: ما سمعت الخليل يقولها لأحد إلا لسيبويه⁽¹⁾.

أهم ما قيل في الكتاب:

وذكر أبو سعيد السيرافي ما قاله العلماء في الثناء على هذا الكتاب، فقال: {وكان كتاب سيبويه لشهرته

(1) إنباه الرواة: 2/252.

العالم النحوي البصري المبرد (285-210هـ):
هو أبو العباس محمد بن يزيد بن عبد الأكبر الأزدي البصري المعروف بالمبرد، الذي ولد في مدينة البصرة ونشأ بها⁽³⁾.

شيوخ المبرد: وهم علماء أعلام في المذهب البصري كأبي عمر الجرمي، وأبي عثمان المازني، وأبي حاتم السجستاني⁽⁴⁾.

تلاميذه: وهم علماء أعلام في المذهب البصري كالزجاج، وابن السراج، والأخفش الصغير، وابن درستويه، وابن كيسان. والذين أخذوا عنه العلم كثيرون. وهؤلاء جميعهم لهم مؤلفات في علم النحو واللغة⁽⁵⁾.

مؤلفاته: ألف المبرد عشرات الكتب في النحو واللغة⁽⁶⁾ أشهرها:

المقتضب والكامل، والروضة، والمدخل في كتاب سيبويه، وكتاب الاشتقاق، وكتاب المقصور والممدود، وكتاب المذكر والمؤنث، ومعاني القرآن ويعرف بالكتاب التام، وكتاب الخط والهجاء وكتاب الأنواء والأزمنة، وكتاب احتجاج القراء وإعراب القرآن، وكتاب الحروف في معاني القرآن إلى سورة طه،

وكتاب صفات الله جل وعلا، وكتاب العبارة عن أسماء الله تعالى، وشرح شواهد كتاب سيبويه، وكتاب الرد على سيبويه، ومعنى كتاب الأوسط للأخفش، وكتاب الزيادة المنتزعة من كتاب سيبويه، ومعنى كتاب سيبويه، وكتاب الحروف، والمدخل في النحو، وكتاب الإعراب، وكتاب التصريف، وكتاب العروض، وكتاب القوافين، وكتاب البلاغة، وكتاب قحطان

(3) ينظر: وفيات الأعيان لابن خلكان: 214-213 / 4.

(4) ينظر: نزهة الألباء في طبقات الأدباء: 164 / 1.

(5) النحو العربي مذاهبه وتيسيره: 81.

(6) معجم الأدباء = إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، المؤلف: شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي (المتوفى: 626هـ): 2684 / 6.

إني لأعلم بمنزلة هذا الكتاب عندما قرأته فوجدت في هذا الكتاب العجب العجيب من الدقة العلمية والروعة في الشمول والإحاطة بعلوم النحو والصرف والصوت إذ هو بمنزلة عظيمة لا مزيد عليها⁽¹⁾.

منهج الكتاب وموضوعاته:

الكتاب في الحقيقة يفتقر إلى مقدمة ونتائج، ويخلو من الترتيب، وفيه تقديم وتأخير، وفي موضوعاته شيء من التكرار. ولم يسلم الكتاب من الاضطراب. وتناوله الدارسون قدامى ومحدثون بين مادح له وقادح. وقام المؤلف له - سيبويه - بدراسة الموضوعات النحوية - وهي أكثر الكتاب - والصرفية، والدراسات الصوتية.

كتاب سيبويه يمثل المذهب البصري خير تمثيل : لا بد أن نذكر أن المنهج البصري له سمات وخصائص تميزه عن منهج المذهب الكوفي فنجد أن المنهج البصري منهج عقلي قائم على القياس والتعليل متأثراً بمنهج الفلاسفة والمتكلمين إلى حد بعيد⁽²⁾. والبصريون يكثرون من التأويلات والتقديرية والتعليلات كما يكثرون من الوجوه الإعرابية، ويدققون في شواهدهم فيحتكمون في سماعهم إلى النصوص الصحيحة. والكتاب يصور ويمثل هذا المنهج أصدق تمثيل.

العصرية - لبنان / صيدا، عدد الأجزاء: 229 / 2:2.

(1) موازنة بين سيبويه والفراء في كتابيهما - (الكتاب) و (المعاني القرآن) - دراسة نحوية صرفية نقدية، لطالب الظاهر، أطروحة دكتوراه، الجامعة العراقية - كلية الآداب، 1433 هـ 2012 م.

(2) ينظر: الاقتراح في علم أصول النحو، لجلال الدين عبد الرحمن السيوطي (ت 911هـ)، تح أ. د. أحمد محمد قاسم، ط1، القاهرة، 1976 م: 51، وضحي الإسلام، لأحمد أمين، القاهرة 1964 م: 295-294.

وعدنان، وطبقات النحويين البصريين وأخبارهم؛ وغير ذلك.

أهم ما قيل فيه:

قال السيرافي: {وسمعت أبا بكر بن مجاهد يقول: ما رأيت أحسن جواباً من المبرد في معاني القرآن فيما ليس فيه قول لمتقدم} ⁽¹⁾، وقال: {أبو القاسم جعفر بن محمد بن حمدان الفقيه الموصلية وكان صديقهما، قال: لأبي عبد الله الدينوري ختن ثعلب: لم يأت ثعلب الاجتماع بالمبرد فقال: لأن المبرد حسن العبارة حلو الإشارة فصيح اللسان ظاهر البيان، وثعلب مذهبه مذهب المعلمين، فإذا اجتمع في محفل حكم للمبرد على الظاهر إلى أن يعرف الباطن. وكان المبرد كثير الأمالي حسن النوادر} ⁽²⁾.

عنايته بكتاب سيبويه:

لقد {أخذ أبو العباس النحو عن الجرمي والمازني وغيرهما وكان على المازني يعول ويقال أنه بدأ بقراءة كتاب سيبويه وختمه على المازني} ⁽³⁾، وقرأ ابن درستويه: {على المبرد «كتاب سيبويه»، وشرح كتاب الجرمي «المختصر»} ⁽⁴⁾، {فسمعت شيخنا أبا القاسم الدقيقي، رحمه الله تعالى، يقول: مَا زَالَ «الكتاب» مُطَرَّحاً بَبْغَدَادَ، لَا يُنْظَرُ فِيهِ، وَلَا يَعُولُ عَلَيْهِ، حَتَّى وَرَدَ الْمُبَرِّدُ إِلَيْهَا، فَبَيَّنَهُ، عَلَى عُلُوِّ قَدْرِهِ وَشَرْفِهِ، وَرَغَبِ النَّاسِ فِيهِ، فَكَانَ لَا يُمَكِّنُ أَحَدًا مِنْ قِرَاءَتِهِ عَلَيْهِ حَتَّى يَقْرَأَهُ عَلَى الزَّجَّاجِ، وَيُصَحِّحَهُ} ⁽⁵⁾.

(1) أخبار النحويين البصريين: 1/78.

(2) وفيات الأعيان لابن خلكان: 4/214.

(3) أخبار النحويين البصريين: 1/77.

(4) تاريخ العلماء النحويين من البصريين والكوفيين وغيرهم، لأبي المحاسن المفضل بن محمد بن مسعر التنوخي المعري (المتوفى: 442هـ)، تحقيق: الدكتور عبد الفتاح محمد الحلوة، الناشر: هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، القاهرة، الطبعة: الثانية 1412هـ - 1992م، عدد الأجزاء: 1 : 1/46.

(5) تاريخ العلماء النحويين من البصريين والكوفيين وغيرهم: 1/55.

ومن علماء البصرة الأعلام:

أبو عبيدة معمر بن المثنى التيمي، والأصمعي عبد الملك بن قريب، وأبو زيد سعيد بن أوس الأنصاري فهؤلاء المشاهير في اللغة والشعر لهم كتب مصنفة. وقيل إن الأصمعي يحفظ ثلث اللغة والخليل يحفظ نصف العربية، وكان أبو مالك عمرو بن كركرة يحفظ اللغة كلها ⁽⁶⁾.

الأخفش البصري (ت 215 هـ): هو أبو الحسن سعيد بن مسعدة مولى بني مجاشع بن دارم وهو من نحويي البصرة المشهورين، وهو أحذق أصحاب سيبويه، وهو أكبر سناً منه فيما يروى. وكانت له صحبة طيبة بأنصار سيبويه من العلماء وطلاب العلم. وكان الأخفش يمثل الطريق إلى كتاب سيبويه {ذلك أن كتاب سيبويه لا نعلم أحداً قرأه على سيبويه ولا قرأه عليه سيبويه ولكنه لما مات سيبويه قرئ الكتاب على أبي الحسن الأخفش. وكان ممن قرأه أبو عمر الجرمي صالح بن إسحاق وأبو عثمان المازني بكر بن محمد وغيرهما} ⁽⁷⁾. وألف كتاباً في علوم القرآن الكريم سماه [معاني القرآن] حققه الدكتور فائز فارس.

أهم ما تنماز به المدرسة البصرية على المدرسة الكوفية وغيرها من المذاهب، والمدارس النحوية، واللغوية الأخرى:

أ- الدقة العلمية في ضبط ووضع القواعد النحوية:

إن البصريين يضعون القاعدة النحوية على الغالب من كلام العرب وأما القليل النادر منه يعدونه شاذاً لا يقاس عليه؛ لأن لكل قاعدة شواذ، كما هو الحال مع حرف الجر [حتى] التي تختص بجر الاسم الظاهر {وقد شذجرها للضمير كقوله:

فلا والله لا يلفي أناس ... فتى حتاك يا ابن أبي زياد

(6) النحو العربي ومذاهبه وتيسيره: 62-61.

(7) أخبار النحويين البصريين: 1/40.

قاعدة⁽⁴⁾. فكان البصريون أصحَّ قياسًا، والكوفيون أوسع رواية⁽⁵⁾.

ب- التثبت الدقيق في اختيار الشاهد النحوي:
كان البصريون يعتمدون الشاهد النحوي إلى حد عام 150 هـ. ولا يأخذون بشعر المولدين؛ لأنَّ لغتهم غير مضبوطة نحوياً، ولا لغوياً، وولدوا في زمان، و مكان لا يحتكم بشعرهم. وكانوا لا يحتجون بشعر أو نثر لا يعرف قائله، ولا يستشهدون بالقراءات الشاذة، ولا بالحديث النبوي الشريف خوفاً من تعرضه للتحريف والتشويه، وفي ذلك إساءة للرسول الكريم (صلى الله عليه وآله وسلم). بينما كان الكوفيون يستشهدون بكل ذلك⁽⁶⁾.

ت- سعة التأليف عند النحويين واللغويين البصريين:
لو نظرنا إلى كتب النحو - وتشتمل على علم الصرف وعلم الصوت أيضاً- التي تؤصل علم النحو والتي حفظت لنا هذا العلم من الضياع وكتب اللغة - في علم المعجم العربي وعلم العروض - لوجدنا أغلبها وأكثرها بصرية أو ممن يسير على المذهب البصري دون أدنى شك. ومن هذه الكتب التي تعد مراجع في علوم النحو واللغة:

1. معجم العين للخليل بن أحمد الفراهيدي البصري (المتوفى: 170 هـ).
2. الجُمَل في النحو، للخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (المتوفى: 170 هـ).
3. الكتاب لسيبويه (المتوفى: 180 هـ).
4. كتاب المقتضب للمبرد (المتوفى 285 هـ).
5. الأصول في النحو لأبي بكر محمد بن السري بن سهل النحوي المعروف بابن السراج (المتوفى: 316 هـ).

(4) ينظر: ضحى الإسلام، لأحمد أمين، القاهرة 1964 م - 294
295.

(5) ينظر: الاقتراح للسيوطي: 84.

(6) المصدر السابق.

ولا يقاس على ذلك خلافاً لبعضهم ولغة هذيل إبدال حائها عينا⁽¹⁾.

وقرأ ابن مسعود قوله تعالى: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ بِهِ جِنَّةٌ فَتَرَبَّصُوا بِهِ حَتَّى حِينٍ﴾ المؤمنون: 25.

فقرأها {فَتَرَبَّصُوا بِهِ عَتَّى حِينٍ}⁽²⁾ حيث أبدل حاء [حتى] عينا.

ومثله من الشاذ الذي لا يقاس عليه {والتاء لله ورب وسمع أيضاً تالرحمن وذكر الخفاف في شرح الكتاب أنهم قالوا تحياتك وهذا غريب. ولا تجر رب إلا نكرة نحو رب رجل عالم لقيت وهذا معنى قوله وبرب منكرا أي واخصص برب النكرة وقد شذجرها ضمير الغيبة كقوله:

واه رأبت وشيكا صدع أعظمه

وربه عطبا أنقذت من عطبه

كما شذجر الكاف له كقوله:

خلى الذنابات شمالا كثبا

وأم أوعال كها أو أقربا⁽³⁾؛

لأنَّ البصريين يريدون أن يصوغوا للنحو، واللغة قواعد محكمة ثابتة معتمدين على النصوص الكثيرة الشائعة، والذي يخرج عن ذلك يعدونه شاذاً يحفظ ولا يقاس عليه. وأمَّا الكوفيون فكانوا أقلَّ تشدداً وأكثر تسامحاً من البصريين فهم يحترمون كل ما ورد عن العرب من كلام موثوق به يجعلونه أساساً لوضع

(1) شرح ابن عقيل قاضي القضاء بهاء الدين عبد الله بن عقيل العقيلي الهمداني المصري (ت 769 هـ) على ألفية ابن مالك (ت 672 هـ)، ومعه كتاب منحة الجليل، بتحقيق شرح بن عقيل، تأليف محمد محيي الدين عبد الحميد، ط 14، المكتبة التجارية الكبرى بمصر، 1384 هـ - 1964 م: 11/3 - 12.

(2) بحث فلم أجدها هذه القراءة في كتب القراءات فضلاً عن كتب شواذ القراءات.

(3) شرح ابن عقيل: 13-12/3.

6. عمدة الكتاب، لأبي جعفر النَّحَّاس أحمد بن محمد بن إسماعيل بن يونس المرادي النحوي (المتوفى: 338هـ)، المحقق: بسام عبد الوهاب الجابي. وهناك مؤلفات في النحو لعلماء متأخرين ساروا على المنهج البصري لا يسع المقام لذكرها؛ لكثرتها أهمها وأبرزها [كتاب شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك] الذي يُدرَّس في المعاهد الإسلامية وأقسام اللغة العربية في كليات العلوم الإسلامية والتربية والآداب في جامعات الوطن العربي.
- 3- كتاب إعراب ثلاثين سورة من القرآن لأبي عبد الله الحسين بن أحمد المعروف بابن خالويه (المتوفى 307هـ).
- 4- مجالس ثعلب، لأبي العباس ثعلب يحيى بن أحمد (ت 291هـ).

ث- السبق في الدراسات النحوية واللغوية:

كانت البصرة سباقة في دراسة النحو ووضع قواعده وهي التي قامت بعبء هذا العمل منذ نشأته، وحتى أصبح خلقاً سوياً، ومرَّ زمن طويل قبل أن تشارك الكوفة فيه، وهي إنما أخذته عن البصرة وقد أخذته تاماً ناضجاً، وأحدثت فيه تغييراً يتصل بالمنهج والتطبيق⁽³⁾. وتحقق هذا السبق للبصرة بسبب انشغال الكوفة في المجالات العسكرية والسياسية والدينية بينا البصرة أصبحت ملتقى لأصحاب المذاهب الدينية والحركات الفكرية والنشاطات العلمية والأدبية واللغوية، وبما تنعم به من استقرار سياسي.

ج- اعتماد واضعي المناهج الدراسية في مادة اللغة العربية في المدارس والمعاهد والكليات المذهب البصري: وهذه ميزة أخرى يتميز بها المذهب البصري على المذهب الكوفي حيث تجد أن واضعي مناهج قواعد اللغة العربية في المدارس الابتدائية، والمتوسطة، والإعدادية يأخذون بأفكار وآراء المدرسة البصرية في معالجة المسائل النحوية والصرفية، وقليلاً ما يأخذون آراء المدرسة الكوفية. ووجدت ذلك في كتب قواعد اللغة العربية للصف الأول المتوسط في بلدنا العراق في موضوع: [المعرب والمبني] حيث تبني رأي البصريين في أن الإعراب أصل في الأسماء فرع في الأفعال بينا البناء أصل في الأفعال والحروف. وتجد في كتاب قواعد

- 1- كتاب الفيصل لأبي جعفر الرؤاسي⁽¹⁾. وهذا الكتاب لم نعر عليه، ولم يصلنا.
- 2- كتاب معاني القرآن، لأبي زكريا يحيى بن زياد الفراء (ت 207هـ). [وهو كتاب مهم وراق في علوم النحو واللغة والتفسير]⁽²⁾. يقابله عند البصريين:

(1) أبو جعفر الرؤاسي الكوفي النحوي أستاذ علي بن حمزة الكسائي، عالم بنحو الكوفة. قال الفراء: خرجت إلى مكة فاجتزت بالكوفة، فقلت لرفيقي: ألا نلقى أبا جعفر! وكان يبلغنا أنه لا يترحم على الكسائي، فبكرنا إليه، فوجدناه يؤذّن، ويقول: «الصلاة خير من النوم»، ينصبها، فلما فرغ قلت له: نصبت «الصلاة»، قال «الصلاة خير لكم» أي على الإغراء. فألقينا مسألة، وقلنا: قال فيها الكسائي كذا وكذا، قال: نعم رحمه الله، قال الفراء: بلغنا أنك لم تكن تترحم على الكسائي، قال: قد كان ذلك، فرأيت في المنام في حالة جميلة، وهيئة حسنة، فقلت: ما الذي صرت إليه؟ قال: صرت إلى خير، قلت: بماذا؟ قال: بالقرآن، بالقرآن. أخذ الرؤاسي العربية عن أبي عمرو بن العلاء، وتقدّم في النحو حتى قال الكسائي: ما وجدت بالكوفة أحدا أعلم بالنحو من أبي جعفر الرؤاسي. كان له كتاب في النحو اسمه «الفيصل»: إنباه الرواة: 4/105.

(2) ينظر: أبو زكريا الفراء ومنهجه في النحو واللغة، د. أحمد مكي الأنصاري، القاهرة، 1384هـ - 1964م، ومدرسة الكوفة، للدكتور مهدي المخزومي، وموازنة في الفعل بين

سيبويه والفراء - دراسة نحوية صرفية نقدية للدكتور طالب خميس الوادي.

(3) مدرسة الكوفة، للدكتور مهدي المخزومي: 36.

ح- شيوع المصطلح النحوي البصري في كتب النحويين قدامى ومحدثين:
إني نظرتُ في كتب قواعد اللغة العربية - التي تشتمل على موضوعات من علمي النحو والصرف - فوجدتُ مؤلفيها يستعملون المصطلح البصري غالباً، ونادراً ما يستعملون المصطلح الكوفي:

اللغة العربية - الذي يدرسه طلاب الصف الثالث المتوسط والصف الخامس الإعدادي - موضوعات [اسم الفاعل] و[صيغة المبالغة] و[الصفة المشبهة باسم الفاعل] حيث تدرس مسائل هذه الموضوعات وفق المنهج البصري⁽¹⁾.

المصطلح البصري المستعمل	ما يقابله من المصطلح الكوفي
النفي	الجدد
البدل	الترجمة والتبيين
اسم الفاعل	الفعل الدائم
ضمير الشأن	المجهول
ضمير الفصل	العماد
حروف الجر	حروف الخفض أو الإضافة
العطف	النسق
حروف العطف	حروف النسق
الرفع والنصب والجر والجزم	الرفع والنصب والجر والجزم

المبحث الثاني:

نظرة فاحصة في الخلاف البصري الكوفي⁽²⁾:

الخلاف البصري الكوفي في المسائل النحوية:

قد تكلمنا فيما تقدم عن الخلاف بين المذهبين البصري والكوفي في المنهج والمصطلح. وستكلم هنا عن الخلاف بينهما في المسائل النحوية وسنذكر أهم المسائل التي اختلفوا فيها:

(2) ينظر: الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين: البصريين والكوفيين، لكمال الدين أبي البركات عبد الرحمن بن محمد بن أبي سعيد الانباري النحوي (ت 577هـ)، ومعه كتاب الانتصاف من الإنصاف، تأليف محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الفكر، (بلا - ت)، والنحو العربي مذاهبه، وموازنة في الفعل بين سيبويه والفراء.

يطلق على المعرب من الأسماء والأفعال يطلق على المعرب والمبني من الأسماء والأفعال. ينما يطلق الضم والفتح والسر والسكون على المبني منها.

(1) نظرات فاحصة في شرح ابن عقيل - دراسة نحوية نقدية، تأليف: الأستاذ المساعد الدكتور طالب خميس الوادي، رقم الإيداع في المكتبة الوطنية والوثائق ببغداد (1401) لسنة 2019م، ط1، مطبعة أنوار دجلة - بغداد: 31-28.

فعل + فاعل + عناصر الفضلة - المفعول به، إذا كان الفعل متعدياً، والصفة والحال والتمييز والظرف والاستثناء وغيرها⁽²⁾.

فالجملة الفعلية عند سيبويه هي التي تبدأ بفعل - تاماً كان الفعل أم ناقصاً - والاسم المرفوع بعده يكون فاعلاً والاسم المنصوب يكون مفعولاً به - إن كان الفعل متعدياً - وإلا فإنه يكتفي بفاعله. لكنني وجدت النحاة قد اختلفوا في تسمية الاسم المنصوب بعد الفعل الناقص فسيبويه والبصريون أطلقوا عليه (المفعول به)⁽³⁾، والكوفيون قالوا إنه منصوب على الحال، ومن النحاة من قال إنه نصب على أنه شبيه بالحال⁽⁴⁾، وبعض النحاة قد ذهب إلى أن خبر (كان) منصوب على التمييز⁽⁵⁾. وذهب الفراء إلى أن خبر (كان) منصوب بها

(2) ينظر: الكتاب: 1/84، "ونظرية الإسناد نحو نظرية العامل من القواعد الكلية التي يستند إليها لطراد الأحكام وتحديد الظاهرة النحوية لأنها مرتبطة بالاسم والفعل (الفعل في كتاب سيبويه، دراسة نحوية، للدكتور عبد الحق أحمد محمد، رسالة دكتوراه، جامعة بغداد - كلية الآداب، 1417هـ - 1996م) 37/.

(3) ينظر: الكتاب: 1/45، وموازنة في الفعل بين سيبويه والفراء: 181-182.

(4) ينظر: الإنصاف في مسائل الخلاف: 2/821، وشرح الكافية في النحو، للأستاذ رضي الدين محمد بن الحسن (ت 688هـ)، مصورة عن نسخة مصورة سنة 1310هـ وعليها حاشية الشريف الجرجاني، دار الكتب العلمية، بيروت، (بلا.ت: 409، وحاشية الصبان على شرح الإسموني على ألفية ابن مالك، لأبي العرفان محمد بن علي الصبان (ت 1206هـ)، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي وشركاه، القاهرة، (د.ت: 1/226).

(5) ينظر: معاني القرآن، لأبي زكريا يحيى بن زياد الفراء (ت 207هـ)، الجزء الأول تح: أحمد يوسف النجاني ومحمد علي النجار، ط 1، مطبعة دار الكتب المصرية، 1374هـ - 1955م. الجزء الثاني، تح: محمد علي النجار، ط 1، الدار المصرية للتأليف والترجمة. الجزء الثالث، تح: عبد الفتاح إسماعيل شلبي، الهيئة العامة المصرية للكتاب، 1972م: 1/187 و 2/83، الفعل في معاني القرآن

آ- عامل الرفع في المبتدأ والخبر.

ب- تقدم الفاعل على فعله.

ج- أفعل الأمر معرب أم مبني؟

د- علة رفع الفعل المضارع.

هـ - عامل النصب في الفعل المضارع بعد [حتى].

و- عامل النصب في الظرف الواقع خبراً.

ز- بِمَ ينتصب خبر كان وثاني مفعولي ظنَّ.

وسنبحث الخلاف في هذه المسألة الأخيرة

[بِمَ ينتصب خبرُ كانَ وثاني مفعولي ظنَّ] بين سيبويه (ت 180هـ) زعيم المدرسة البصرية والفراء (ت 207هـ) زعيم المدرسة الكوفية تحت هذا العنوان:

((إشكالية الجملة الفعلية في العربية))

الجملة في العربية تقسم على قسمين: جملة اسمية وجملة فعلية. فالجملة الاسمية هي التي تبدأ باسم وتتألف من عنصرين أساسيين هما: المبتدأ - المسند إليه - والخبر - المسند - وكل منهما يسمى العمدة؛ لأنَّ الجملة في العربية تقوم على عمودين إذا زال أحدهما أو حُذِفَ من الكلام اختلَّ نظام الجملة وانهار⁽¹⁾. ولا يوجد إشكال في تركيبها وبنائها يذكر. أمَّا الجملة الفعلية فهي التي تبدأ بفعل. لكن الفعل في العربية يقسم على قسمين: تام وناقص.

فسيبويه لم ينظر إلى الجملة الفعلية على أساس تمام الفعل ونقصانه بل لم يقل سيبويه بنقصان الفعل ولم يفتن إلى هذا المصطلح لا هو، ولا شيوخه، ولا الذين عاصروه من النحاة - الكوفيين والبصريين - بل كان سيبويه - رحمه الله تعالى - ينظر إلى الجملة الفعلية من حيث تركيبها:

(1) ينظر: الكتاب، كتاب سيبويه، لأبي بشر عمرو بن عثمان بن قنبر (ت 180هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، الناشر: مكتبة الخانجي بالقاهرة، ط 4، 1425هـ: 1/23 و 232.

وفَصَّل ابن عقيل⁽⁶⁾ القول فيها فجعل النواسخ تقسم على قسمين:

نواسخ فعلية ونواسخ حرفية تدخل على الجملة الاسمية. وهذه النواسخ عملها شكلي لفظي ليس حقيقياً؛ لأنه لا يمس جوهر الجملة الاسمية ومضمونها، وهذا ما ذهب إليه المبرد⁽⁷⁾ - رحمه الله تعالى - والدكتور تمام حسان⁽⁸⁾.

فالجملة في العربية - يرى الباحث - ينبغي أن يعاد تقسيمها على وفق تمام الفعل ونقصانه وفي ضوء تجديد النحو العربي والدراسات النحوية الحديثة وتكون على الشكل الآتي:

واسمها مرفوع بها أيضاً⁽¹⁾. لكنهم جميعاً متفقون على أن خبر (كان) لا يمكن حذفه من الكلام ولا يتم الكلام إلا بذكره وهو منصوب.

وهذا الخلاف بين النحاة البصريين وعلى رأسهم سيبويه والكوفيين وعلى رأسهم الفراء عائد إلى العلة في نصب الخبر الذي هو مسند وعمدة في الجملة وحقه الرفع فكيف نُصِب؟ فسيبويه لم يتورع عن ذكر عامل النصب فيه فعده مفعولاً به والعامل فيه الفعل الناقص الذي عدّه متعدّياً؛ لأنّ الفعل إذا تجاوز فاعله ولم يكتف به إلى مفعوله نصبه فهو متعدّ⁽²⁾. أمّا الفراء فعده المنصوب في الجملة الفعلية الناقصة خبراً على أصله لكن الناصِب له هو الفعل الناقص؛ لأنّه أيقن أنّ تأثير الفعل الناقص شكلي على الجملة الاسمية لا يمسّ جوهرها. واتفق سيبويه⁽³⁾ والفراء⁽⁴⁾ على أن الجملة الفعلية الناقصة في أصل وضعها هي جملة اسمية؛ لذلك سمّى ابن مالك⁽⁵⁾ هذه الأفعال - الأفعال الناقصة - بالنواسخ.

للفراء (ت 207هـ) دراسة نحوية، لطالب الظاهر، رسالة ماجستير، جامعة بغداد - كلية التربية ابن رشد، 1425هـ 2004م / 122-123.

(1) ينظر: في النحو العربي نقد وتوجيه، للدكتور مهدي المخزومي، ط 1، 1966م: 179.

(2) ينظر: الكتاب: 1/34 ومنهج كتاب سيبويه في التقويم النحوي، للدكتور محمد كاظم البكاء: 248-280.

(3) ينظر: الكتاب: 1/45-56، حيث ذكر سيبويه شروط الاسم الذي يكون فاعلاً لكان وخبرها فجعلها كشرط المبتدأ والخبر - في الجملة الاسمية من حيث وجوب أن يكون المبتدأ معرفة والخبر يجوز فيه أن يكون معرفة - وهو الأفضل - أو نكرة وإن جاء نكرتين "ولا يبدأ بما = يكون فيه اللبس، وهو النكرة... وقد يجوز في الشعر وفي ضعيف الكلام. حكاهم على ذلك أنّه فعلٌ بمنزلة ضرب" الكتاب: 1/48.

(4) ينظر: المعاني للفراء (ت 207هـ): 1/186 - 187 و 2/83 و 1/363.

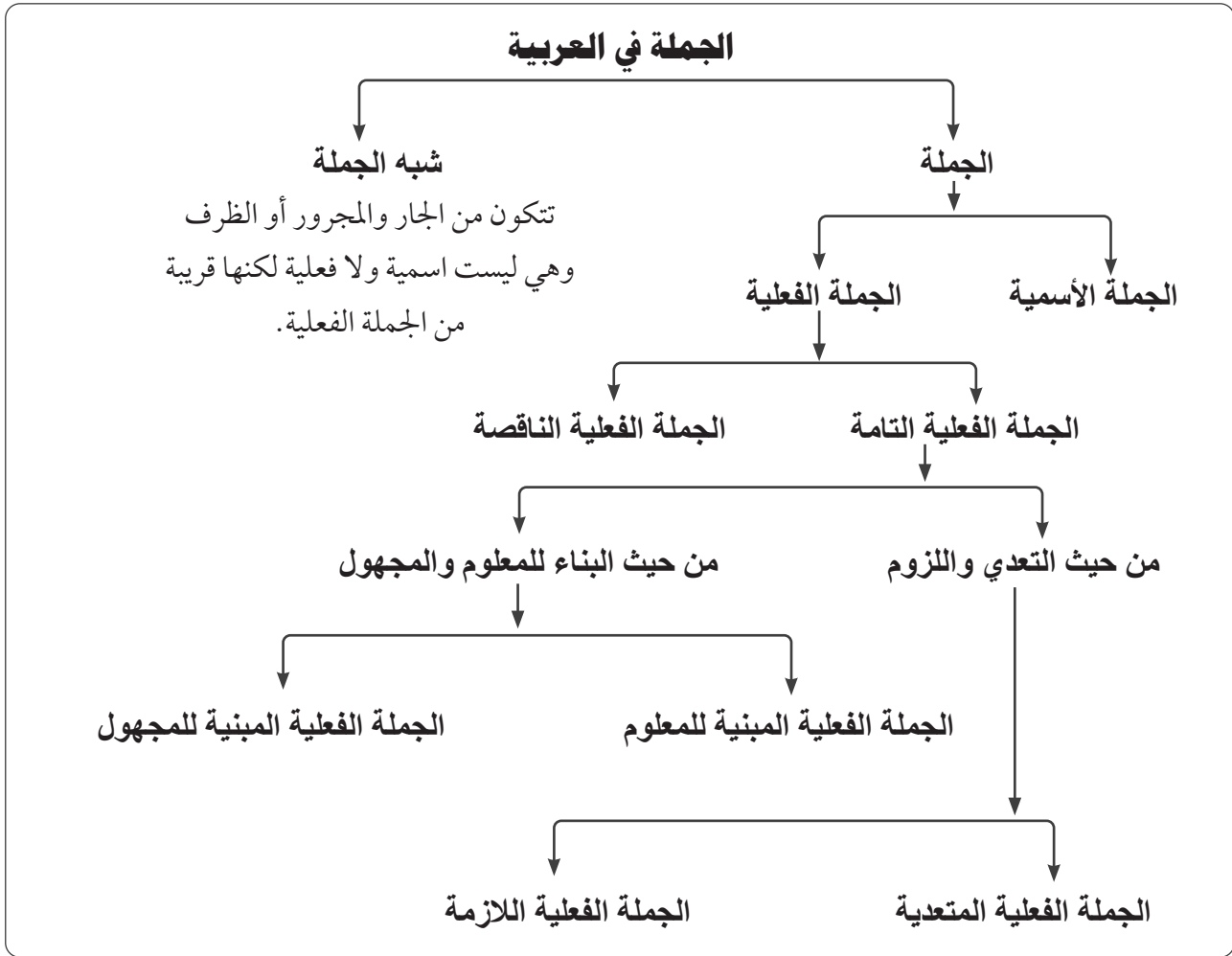
(5) ينظر: شرح ابن عقيل: 1/381.

(6) ينظر: المصدر نفسه: 1/262.

(7) ينظر: المقتضب لأبي العباس محمد بن يزيد المبرد (ت 285هـ)، تح: عبد الخالق غزيمة، عالم الكتب بيروت،

1382هـ 1962م: 1/33 و 97.

(8) ينظر: مناهج البحث في اللغة، للدكتور تمام حسان، ط 1955م: 269.



وسنفصل القول في كل واحدة من هذه الجمل وسيكون التوضيح بحسب الحاجة إليها والخلف فيها. الجملة: هي التي تتكون من مسند إليه ومسند، وكلاهما عمدة لا يجوز حذف أحدهما بأي شكل من الأشكال ولكن يجوز الإضمار إن دل عليه دليل في الكلام المتقدم أو يمكن تقديره من سياق النص الموجود فيه، نحو قول الشاعر عنترة بن شداد⁽¹⁾:
وَلَقَدْ نَزَلْتُ - فَلَا تَظَنِّي غَيْرَهُ -

مِنِّي بِمَنْزِلَةِ الْمُحَبِّ الْمُكْرَمِ
فحذف المفعول الثاني للفعل (ظَنَّ) وتقدير الكلام (فَلَا تَظَنِّي غَيْرَهُ واقِعاً) فحذف لأن سياق النص في بيت

(1) شرح ابن عقيل: 1/444 وشرح المعلقات السبع للزوزني، بغداد- العراق، (بلا - ت): 118.

عنترة يدل عليه. والجملة في العربية تقسم على قسمين: جملة صغرى، نحو: (مُحَمَّدٌ مُؤَدَّبٌ) و(سافر خالدٌ) و(سَرَقَ اللصُّ المال). وجملة كبرى، نحو: «إِنَّ دَرَسَ الطَّالِبُ بِجِدِّ فَسَوْفَ يَنْجَحُ فِي الْإِمْتِحَانِ نَجَاحاً بَاهِراً»، وقال الله تعالى: ﴿وَإِنْ تُبَدُّوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخَفُّوهُ يَحَاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ فَيَعْلَمُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ﴾⁽²⁾ هذه الجملة كُبرى؛ لأنها مركبة من أكثر من جملة لا يتم معنى أحدهما دون ذكر الأخرى.

والجملة الاسمية هي التي تتألف من مبتدأ - مسند إليه - وخبر - مسند - وسميت بالاسمية، لأنها تبدأ بالاسم. وهذه الجملة تتسم بالدوام والثبوت. وليس (2) سورة البقرة: الآية (284).

إلى الجملة الفعلية الناقصة التي تبدأ بفعل ناقص نحو (كان) فيأتي الاسم بعدها - الذي هو مسند إليه - وخبره يكون منصوباً، نحو الجملة الفعلية الناقصة الآتية:

كان محمد أخاك

فعل + اسم مرفوع + اسم منصوب = جملة فعلية
فرأى سيويه - رحمه الله تعالى - الحل الأمثل للخروج من هذه الإشكالية أن يُعد الفعل (كان) متعدياً والاسم المرفوع بعده فاعلاً والاسم المنصوب به مفعولاً به. وبهذا وقع سيويه في إشكالية ثانية دعنا إلى إجراء موازنة بينه وبين الفراء - رحمه الله تعالى - في هذه المسألة في باب تعدي الفعل ولزومه. أمّا الفراء فوجد المخرج والحلّ السليم لها هو أنه سمّى الفعل (كان) و(كاد) و(ظن) أفعالاً ناقصة بُنِيَتْ عَلَى النَّقْصِ⁽⁵⁾ في أصل اللغة لا يرتقين إلى مستوى الفعل التام؛ لضعف الدلالة على الحدث في هذه الأفعال ورأى أنها لا تستغني عن الخبر الذي به تكتمل دلالتها على الحدث وكأن الفعل الناقص تقوى دلالته بخبره؛ لذلك من الخطأ والخلل حذف خبر هذه الأفعال⁽⁶⁾. وإذا جاء الفعل الناقص مستغنياً عن خبره فهو فعل تام⁽⁷⁾، لأنه أُشْرِبَ معنى فعل تام - متعدد أو لازم - وعلى مذهبه هذا سار النحاة منذ عهده وليومنا هذا - بحدود علمي - ولم يَظْمُ أحدٌ من النحاة القدامى والمتأخرين والمحدثين في الخوض في هذه المسألة إلا بعض النحاة المحدثين الذين قالوا بخلاف ذلك⁽⁸⁾.

فيها خلاف ولا إشكال في تركيبها.

أما الجملة الفعلية فهي التي تبدأ بفعل وتتألف من مسند تبدأ به وهو الفعل، ومسند إليه وهو الفاعل، وعناصر أخرى تسمى الفضلة؛ لأن الكلام - الجملة - يتم بدونها. وفي الجملة الفعلية حصل الإشكال؛ لأن الجملة الفعلية في الحقيقة تقسم على قسمين:

جملة فعلية فعلها تام تسمى بالجملة الفعلية التامة، نحو قوله تعالى: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ﴾⁽¹⁾ و﴿وَأَعَزَّلْنَا﴾⁽²⁾ ونحو قولك: «عَلِمَ الرجلُ» و«كَتَبَ التلميذُ» فهذه الجمل بدأت بأفعال لازمة ومتعدية كل منها استغنى بفاعلها وتَمَّ المعنى. والفعل في هذه الجمل يُعَدُّ مسنداً عمدة وركناً أساساً لا تقوم الجملة إلا به وبالفاعل ولا يتم الكلام إلا بهما.

وجملة فعلية فعلها ناقص تسمى بالجملة الفعلية الناقصة؛ لأنها تبدأ بفعل ناقص يدخل على الجملة الاسمية فينسخ عمل المبتدأ والخبر فيصبح المبتدأ مرفوعاً به ويسمى اسماً للفعل الناقص وينسخ عمل الخبر فينصبه ويسمى خبرها لكن هذا الفعل ليس مسنداً في هذه الجملة بل المسند هو الخبر نفسه ويُعَدُّ العمدة فيها لا يتم المعنى إلا به⁽³⁾، وبقي المبتدأ - اسم الفعل الناقص - مسنداً إليه. وهنا في هذا القسم من الجملة الفعلية حصل الإشكال؛ لأن الجملة الفعلية - الناقصة - تبدأ بفعل وكل فعل له فاعل يقوم به ويسند إليه الكلام وإلا هو ليس بفعل⁽⁴⁾. والفعل الناقص لا يستطيع أحد أن ينكر فعليته؛ لذلك عندما نظر سيويه

(1) سورة النصر: الآية (1).

(2) سورة البقرة: الآية (286).

(3) ينظر: الكتاب: 1/23 و 80 و 238 و 320، وتسهيل

الفوائد وتكميل المقاصد، لابن مالك أبي عبد الله محمد جمال

الدين (ت 672 هـ)، تح: محمد كامل بركات، دار الكاتب

العربي للطباعة والنشر، القاهرة، 1387 هـ - 1967 م: 3.

(4) الكتاب: 1/23 و 80 و 238 و 320، وتسهيل

الفوائد: 3.

(5) ينظر: المعاني للفراء: 2/84.

(6) ينظر: المعاني للفراء: 2/83.

(7) موازنة في الفعل بين سيويه والفراء: 194-192.

(8) ينظر: النواسخ الفعلية والحرفية، دراسة تحليلية مقارنة،

للدكتور أحمد سليمان ياقوت، ط: 1984 م: 66.

ويفهم ويوافق خصومهم. وهذا الأمر يجعل النقاد والمؤرخين في مجال اللغة وآدابها يشككون بكونها مدارس بل يميلون إلى تسميتها مذاهب تسمى باسم المدينة كما هو الحال مع المذهب البصري والمذهب الكوفي نسبة إلى مدينة البصرة ومدينة الكوفة.

4. كثرة الأوجه الإعرابية في المسألة الواحدة.

5. يرى ابن مضاء -الذي اعترض على نحاة المشرق ومنهم البصريين - أن نظرية العامل هي نظرية فاسدة؛ لأنها الأصل فيما جرّته من تقدير العوامل والمعمولات كما هو الحال في أبواب الضمائر المستترّة وجوباً، وجوازاً في الأفعال والمشتقات، والتنازع والاشتغال، ونواصب المضارع نحو: [الفاء السببية]، [حتى]، و[الواو]، و[كي]، ومبالغة النحاة في التقدير يؤدي بهم في كثير من الأحيان إلى رفض أساليب صحيحة في العربية ويجعلون مكانها أساليب ملتوية وواهية⁽²⁾. وهناك من ردّ عليه وعد هذا الكتيب الذي ألفه معارضة وثورة على نحو المشرق العربي، وأدبه⁽³⁾.

6. أخذ الكلام عن تقدير العامل الظاهر والمضمّر وتعلق المعمول بالعامل المحذوف مساحة واسعة من علم النحو العربي عند نحاة البصرة، والكوفة معاً⁽⁴⁾، مثل الجار والمجرور، والظرف، نحو: [في الدار رجل] يعربها البصريون :

(في الدار) جار ومجرور متعلق بخبر محذوف متقدم على المبتدأ (رجل) تقديره: كائن أو مستقر. وهكذا الحال مع الظرف، نحو: كان لدي مال. أيضاً يعربه

(2) ينظر: الرد على النحاة، لأحمد بن عبد الرحمن بن محمد بن مضاء القرطبي (ت 592 هـ)، تح: دكتور شوقي ضيف ط2، دار المعارف، القاهرة 1982 م: 76.

(3) ينظر: كتاب سيبويه: 282/1.

(4) ينظر: نحو التيسير، دراسة ونقد منهجي، للدكتور أحمد عبد الستار الجوارى، مطبعة المجمع العلمي العراقي، بغداد، 1404 هـ 1984 م: 49-39.

ويرى الباحث أن السبب في هذه الإشكالية يرجع إلى أمرين:

أحدهما: أن الجملة الفعلية الناقصة تبدأ بفعل والفعل يرفع فاعلاً وينصب مفعولاً، لذلك سمّي سيبويه الاسم المرفوع بعد الفعل الناقص أو فعل النسخ فاعلاً والاسم المنصوب مفعولاً به.

الآخر: الجملة الفعلية الناقصة في أصلها اسمية؛ لأن اسم الفعل الناقص - المسند إليه - المبتدأ في الأصل بقي مرفوعاً على أصله والخبر بقي عمدة في الجملة لا تقوم الجملة إلا به؛ لأنه مسند على أصله في الجملة الاسمية لكن لم يتجرأ أحد على القول باسميتها إلا بعض المحدثين⁽¹⁾ الذي عامل الفعل الناقص معاملة الحرف من حيث تأثيره في الجملة الاسمية التي دخل عليها؛ لأنه تأثير شكلي لا يمس جوهر الجملة ومضمونها. ولكل ما تقدم يرى الباحث أن الفراء كان أرجح رأياً وأعمق نظرة في معالجة الموضوع والخروج من هذه الإشكالية التي وقعت فيها الجملة العربية بسبب نقصان قسم من أفعال العربية التي هي ليست أفعالاً تامة - متعدية - وليست هي من الحروف التي تدخل على الجملة الاسمية فتبقى على اسميتها.

ويرى الباحث أن الرأي الراجح المنصف بين هذا وذاك هو أن نذهب إلى أن هذه الجملة هي جملة اسمية في المعنى والمضمون لكنّها في الشكل جملة فعلية ناقصة ليست كالجملة الفعلية التامة - والله أعلم بالصواب.

أهم المآخذ على المدرسة البصرية:

1. كثرة التأويل، والتقدير في مسائل الموضوع الواحد منها تأويل المحذوفات.

2. تعدد الآراء النحوية في المسألة الواحدة.

3. العالم النحوي البصري لا يلتزم بمنهج وآراء وأفكار أصحاب مذهبه أو مدرسته بل يخرج عنهم

(1) مناهج البحث في اللغة للدكتور تمام حسان: 269.

البصريون :

(لدى) ظرف متعلق بخبر محذوف متقدم على المبتدأ تقديره: كائن أو مستقر.

كما اعترض ابن مضاء على نحاة المشرق على كثرة تقديرهم العوامل المحذوفة : التي هي على ثلاثة أقسام: محذوف لا يتم الكلام إلا به، نحو قولك : [زيداً] أي : اعط زيداً. وهذا الحذف جاء في كتاب الله تعالى :

- ﴿وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾ البقرة

- ﴿وَقِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا مَاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا خَيْرٌ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ وَلَنِعْمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ﴾ النحل: 30

- ﴿فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَاهَا﴾ الشمس: 13

فتجد كلمة [العفو] في آية سورة البقرة و[خييراً] في سورة النحل⁽¹⁾ و[ناقة] في سورة الشمس نُصِبَتْ هذه الكلمات بعامل محذوف فتحذفه وهو مراد، وإن أظهر تمّ الكلام به، والمحذوفات في كتاب الله تعالى كثيرة جداً، والحذف الذي ورد في كتاب الله سبحانه لم يخل بالمعنى بل هو أوجز وأبلغ. والثاني: محذوف لا حاجة بالكلام إليه بل هو تام دونه، نحو: [أزيداً ضربته؟].

و أمّا القسم الثالث: فهو مضمّر، إذا أظهر تغير عما كان عليه قبل إظهاره، مثل قولنا في أسلوب النداء: [يا عبد الله] فالمنادى منصوب بفعل مضمّر تقديره: أنادي أو أدعو عبد الله وأكد سبويه ذلك بقوله: {اعلم أن النداء، كل اسم مضاف فيه فهو نصبٌ على إضمار الفعل المتروك إظهاره. والمفرد رفعٌ وهو في موضع اسم منصوب} ⁽²⁾. وأيضاً قال به المبرد في المقتضب: {اعلم أنّك إذا دَعَوْتَ مُضَافاً نصبته وانتصابه على الفعل المتروك إظهاره وَذَلِكَ قَوْلُكَ يَا عَبْدَ اللَّهِ لِأَن يَأْ بَدَلُ مِنْ قَوْلِكَ أَدْعُو عَبْدَ اللَّهِ وَأَرِيدُ لَا أَنَّكَ تَخْبِرُ أَنَّكَ تَفْعَلُ وَلَكِنْ

(1) ينظر: الر على النحاة: 79.

(2) كتاب سبويه: 303 / 1.

بها وقع} ⁽³⁾، وهذا المضمّر لو ظهر لصار النداء -الذي هو إنشاء- خبراً ⁽⁴⁾. ويسأل المعترض على تقدير المضمّر والمحذوف وجوباً فيما تقدم قائلاً: {فإن كانت لا وجود لها في النفس ولا للألفاظ الدالة عليها وجود في القول، فما الذي ينصب إذن؟ وما الذي يضمّر؟ ونسبة العمل إلى معدوم على الإطلاق محال.} ⁽⁵⁾

4- هناك دعوة من أصحاب التجديد والتيسير في النحو العربي إلى إلغاء تقسيم الجمل في العربية إلى قسمين: جمل لها محل من الإعراب، وجمل لا محل لها من الإعراب وجعلها قسم واحد بحسب زعمهم: {وأولى من ذلك أن نقول: إن هذه الجملة خبر أو نعت أو حال} ⁽⁶⁾. وهو محجوج من أمرين: أحدهما : يجب أن يكون هناك علماء متخصصون يعلمون ما لا نعرف من أسرار هذه اللغة كي نفهم ما نحتاج إليه على حد قول الخليل -رحمه الله تعالى.

الأمر الآخر: هذا التقسيم ينفع في تدريس الأجيال من طلاب علم وتلاميذ مدارس ⁽⁷⁾.

5- تأثر المذهب البصري بعلوم الفلسفة، والمنطق، وعلم الكلام -وهي من علوم العصر الذي نشأ فيه النحو العربي- ومن آثار ذلك نظرية العامل حيث جعلوا لكل معمول -المبتدأ والخبر والفاعل والمفعول به والاسم المجرور وغيرها- عاملاً قد عمل في الاسم أو الفعل الرفع أو النصب أو الجر أو الجزم. وإن لم يكن العامل لفظياً ظاهراً كما هو الحال في رفع الفاعل -حيث عمل فيه الفعل الذي سبقه؛ لذلك منعوا تقدم الفاعل على فعله - فيقدرونه معنوياً كالعامل في رفع المبتدأ فقالوا العامل فيه عامل الابتداء وهو عامل معنوي.

(3) شرح ابن عقيل: 4/202.

(4) ينظر: الر على النحاة: 80-79.

(5) المصدر نفسه: 81.

(6) ينظر: مقدمة الر على النحاة: 79.

(7) ينظر: دراسات في النحو، للدكتور طه عبد الحميد طه، مطبعة الكيلاني، القاهرة، 1971 م.

على غيرها من المدارس في علم النحو واللغة بسمات وميزات اختصت بها دون غيرها.

6. وقف البحث على أهم المآخذ التي وجهت للمدرسة البصرية من النحويين القدامى والمحدثين.

7. وقف البحث عند الخلاف النحوي بين البصريين والكوفيين وعند مسألة من أهم مسائله ألا وهي إشكالية الجملة العربية لنبين أهمية هذا الخلاف في إثراء علم النحو ومدى عمق الخلاف.

وصلى الله تعالى على محمد وآل محمد في الأولين والآخرين. كتب البحث في بغداد 25/ جماد الأولى/ 1439

المصادر

- القرآن الكريم.
- 1 - أبو زكريا الفراء ومنهجه في النحو واللغة ، د. أحمد مكي الأنصاري ، القاهرة ، 1384 هـ - 1964 م .
 - 2 - أخبار النحويين البصريين، المؤلف: الحسن بن عبد الله بن المرزبان السيرافي، أبو سعيد (المتوفى: 368 هـ)، المحقق: طه محمد الزيني، ومحمد عبد المنعم خفاجي - المدرسين بالأزهر الشريف، الناشر: مصطفى البابي الحلبي، الطبعة: 1373 هـ - 1966 م، عدد الأجزاء: 1.
 - 3 - الاقتراح في علم أصول النحو، لجلال الدين عبد الرحمن السيوطي (ت 911 هـ)، تح. أ. د. أحمد محمد قاسم، ط 1، القاهرة، 1976 م.
 - 4 - إنباه الرواة على أنباه النحاة، المؤلف: جمال الدين أبو الحسن علي بن يوسف القفطي (المتوفى: 646 هـ)، الناشر: المكتبة العنصرية، بيروت، الطبعة: الأولى، 1424 هـ، عدد الأجزاء: 4.
 - 5 - الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين: البصريين والكوفيين، لجمال الدين أبي البركات عبد الرحمن بن محمد بن أبي سعيد الانباري النحوي (ت 577 هـ)، ومعه كتاب الانتصاف من الإنصاف تأليف محمد محيي الدين عبد الحميد ، دار الفكر ، (بلا- ت).

خاتمة البحث وأهم النتائج:

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ﴾⁽¹⁾. بفضل الله تعالى ومنه وكرمه تم هذا البحث الذي درسنا فيه نشوء علم النحو ودور المدرسة البصرية في وضع أصوله، وتأسيس قواعده، وتثبيت مصطلحاته، وترتيب موضوعاته، وجعلت له منهجاً مستقلاً، وأقامت قواعدها وفق نظرية علمية. في حين كانت المدرسة الكوفية منهمكة بدراسة علوم القرآن الكريم وعلم العقيدة والفقه والحديث، فضلاً عن عنايتها بالشعر والشعراء، وأيام العرب، وعلم الأنساب. وعندما أحس الكوفيون بأهمية علم النحو وعلوم اللغة بادروا إلى دراستها على أيدي مشايخ البصرة وعلمائها واستطاعوا بعد ذلك أن يأسسوا مدرسة أو مذهباً مستقلاً له منهجه ومصطلحاته، وله آراء مخالفة لآراء البصريين في مسائل النحو- لكن أنجز ذلك بعد زمن طويل من اكتمال بنیان صرح النحو واللغة في البصرة الفيحاء.

أهم النتائج:

1. بيّن البحث دور البصرة الرائد والكبير في احتضان العلم والعلماء.
 2. كانت البصرة مهداً، وبيئة مناسبة لنشوء علم النحو وعلوم اللغة.
 3. أراد البحث أن يُذكر برموز العلم والحضارة العربية الإسلامية كي لا تنسى الأجيال دورهم وآثارهم العلمية والفكرية والثقافية في ميادين الدين والأدب واللغة.
 4. بيّن البحث حجم الرقي العلمي الذي بلغته الأمة في علم النحو من خلال دراسة أجراها الباحث في مسألة خلافية من مسائل النحو بين سيويه والفراء.
 5. قام الباحث بدراسة أوضح فيها تميز المدرسة البصرية
- (1) الأعراف: 43.

- 6 - بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، المؤلف: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: 911هـ)، المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الناشر: المكتبة العصرية - لبنان / صيدا، عدد الأجزاء: 2.
- 7 - تاريخ العلماء النحويين من البصريين والكوفيين وغيرهم، لأبي المحاسن المفضل بن محمد بن مسعر التنوخي المعري (المتوفى: 442هـ)، تحقيق: الدكتور عبد الفتاح محمد الحلو، الناشر: هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، القاهرة، الطبعة: الثانية 1412هـ - 1992م، عدد الأجزاء: 1.
- 8 - تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد، لابن مالك أبي عبد الله محمد جمال الدين (ت 672هـ)، تح: محمد كامل بركات، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر، القاهرة، 1387هـ - 1967م.
- 9 - التنبيه على حدوث التصحيف، لحمزة بن حسن الأصفهاني (ت 365هـ): ط 1: آل ياسين. النهضة، بغداد.
- 10 - التنبيه على حدوث التصحيف، لحمزة بن حسن الأصفهاني (ت 365هـ): ط 1: آل ياسين. النهضة، بغداد.
- 11 - حاشية الصبان على شرح الإسموني على ألفية ابن مالك، لأبي العرفان محمد بن علي الصبان (ت 1206هـ)، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي وشركاه، القاهرة، (د.ت).
- 12 - الخصائص، لأبي الفتح عثمان بن جني (ت 392هـ)، تح: الشربيني شديدة، عضو رابطة الأدب الإسلامي العالمية، دار الحديث، القاهرة، 1428هـ - 2007م.
- 13 - دراسات في النحو، للدكتور طه عبد الحميد طه، مطبعة الكيلاني، القاهرة، 1971م.
- 14 - الرد على النحاة، لأحمد بن عبد الرحمن بن محمد بن مضاء القرطبي (ت 592هـ)، تح: دكتور شوقي ضيف ط 2، دار المعارف، القاهرة 1982م.
- 15 - شرح ابن عقيل قاضي القضاء بهاء الدين عبد الله بن عقيل العقيلي الهمداني المصري (ت 769هـ) على ألفية ابن مالك (ت 672هـ)، ومعه كتاب منحة الجليل، بتحقيق شرح بن عقيل، تأليف محمد محيي الدين عبد الحميد، ط 14، المكتبة التجارية الكبرى بمصر، 1384هـ - 1964م.
- 16 - شرح الكافية في النحو، للأسترباذي رضي الدين محمد بن الحسن (ت 688هـ)، مصورة عن نسخة مصورة سنة 1310هـ وعليها حاشية الشريف الجرجاني، دار الكتب العلمية، بيروت، (بلا.ت).
- 17 - شرح المعلقات السبع للزوزني، بغداد- العراق، (بلا.ت).
- 18 - ضحى الإسلام، لأحمد أمين، القاهرة 1964م.
- 19 - الفعل في كتاب سيبويه، دراسة نحوية، للدكتور عبد الحق أحمد محمد، رسالة دكتوراه، جامعة بغداد- كلية الآداب، 1417هـ - 1996م.
- 20 - الفعل في كتاب سيبويه، دراسة نحوية، للدكتور عبد الحق أحمد محمد، رسالة دكتوراه، جامعة بغداد - كلية الآداب، 1417هـ - 1996م.
- 21 - الفعل في معاني القرآن للفراء (ت 207هـ) دراسة نحوية، لطالب الظاهر، رسالة ماجستير، جامعة بغداد - كلية التربية ابن رشد، 1425هـ 2004م.
- 22 - في النحو العربي، نقد وتوجيه، للدكتور مهدي المخزومي، ط 1، منشورات المكتبة العصرية، بيروت، 1964م.
- 23 - كتاب سيبويه، لأبي بشر عمرو بن عثمان بن قنبر (ت 180هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، الناشر: مكتبة الخانجي بالقاهرة، ط 4، 1425هـ.
- 24 - المدرسة الكوفة ومنهجها في دراسة اللغة والنحو تأليف الدكتور مهدي المخزومي، دار الرائد العربي، بيروت - لبنان، ط 3، 1406هـ - 1986م.
- 25 - مراتب النحويين لأبي الطيب (351هـ) - ط 1، أبو الفضل - مصر.

- 26 - المزهري في علوم اللغة وأنواعها ، جلال الدين عبد الرحمن السيوطي (ت 911هـ)، شرح وتصحيح محمد أحمد جاد المولى وجماعته، ط2، مطبعة عيسى الحلبي ، القاهرة، (بلا.ت).
- 27 - مشكلات في التأليف اللغوي، للدكتور رشيد العبيدي، مطبعة دار الجاحظ للطباعة والنشر- بغداد، ط1، رقم الإيداع في المكتبة الوطنية والوثائق ببغداد، 1400 هـج - 1980 م.
- 28 - معاني القرآن، لأبي زكريا يحيى بن زياد الفراء (ت 207هـ)، الجزء الأول تح : أحمد يوسف النجاتي ومحمد علي النجار، ط1، مطبعة دار الكتب المصرية ، 1374هـ- 1955 م.
- الجزء الثاني، تح: محمد علي النجار، ط1، الدار المصرية للتأليف والترجمة .
- الجزء الثالث، تح: عبد الفتاح إسماعيل شلبي ، الهيئة العامة المصرية للكتاب ، 1972 م.
- 29 - معجم الأدباء = إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، المؤلف: شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي (المتوفى: 626هـ)، المحقق: إحسان عباس، الناشر: دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة: الأولى، 1414 هـ - 1993 م، عدد الأجزاء: 7.
- 30 - المقتضب لأبي العباس محمد بن يزيد المبرد (ت 285هـ)، تح: عبد الخالق غزيمة ، عالم الكتب بيروت، 1382هـ 1962 م.
- 31 - مناهج البحث في اللغة للدكتور تمام حسان، الإنجلو المصرية، 1955 م.
- 32 - منهج كتاب سيويه في التقويم النحوي للدكتور محمد كاظم البكاء، دار الشؤون الثقافية، بغداد، 1989 م.
- 33 - موازنة بين سيويه والفراء في كتابيهما-(الكتاب) و(المعاني القرآن)- دراسة نحوية صرفية نقدية،
- لطالب الظاهر، أطروحة دكتوراه ، الجامعة العراقية- كلية الآداب، 1433هـ - 2012 م.
- 34 - نحو التيسير، دراسة ونقد منهجي، للدكتور أحمد عبد الستار الجواري، مطبعة المجمع العلمي العراقي، بغداد، 1404هـ 1984 م.
- 35 - النحو العربي مذهبه وتيسيره، تأليف الدكتور مجهد جيجان الدليمي والدكتور محمد صالح التكريتي والدكتور عائد كريم، جامعة بغداد، كلية التربية، دار الحكمة للطباعة والنشر، بغداد .
- 36 - نزهة الألباء في طبقات الأدباء لأبي البركات الأنباري ، تحقيق الدكتور إبراهيم السامرائي، بغداد، 1959 م.
- 37 - نظرات فاحصة في شرح ابن عقيل - دراسة نحوية نقدية، تأليف: الأستاذ المساعد الدكتور طالب خميس الوادي، رقم الإيداع في المكتبة الوطنية والوثائق ببغداد (1401) لسنة 2019 م، ط1، مطبعة أنوار دجلة - بغداد.
- 38 - النواسخ الفعلية والحرفية، دراسة تحليلية مقارنة، للدكتور أحمد سليمان ياقوت، كلية الأدب.
- 39 - جامعة الإسكندرية ، دار المعارف ، 1984 م.
- 40 - وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، لأبي العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر ابن خلكان البرمكي الإربلي (المتوفى: 681هـ)، المحقق: إحسان عباس، الناشر: دار صادر - بيروت، الطبعة: الجزء: 1 - الطبعة: 01900، الجزء: 2 - الطبعة: 0، 1900، الجزء: 3 - الطبعة: 0، 1900، الجزء: 4 - الطبعة: 1، 1971، الجزء: 5 - الطبعة: 1، 1994، الجزء: 6 - الطبعة: 0، 1900، الجزء: 7 - الطبعة: 1، 1994، عدد الأجزاء: 7.